السيدة أروى بنت عبد المطلب رضي الله عنها

كانت لرسول الله ﷺ ست عمَّات، ثلاث مسلمات، وثلاث مشركات، أما المسلمات فهن: «أروى بنت عبد المطلب»، و«صفية بنت عبد المطلب»، و«عاتكة بنت عبد المطلب»، أسلمن جميعاً وهاجرن. وشهدت بعض الغزوات مع رسول الله ﷺ و«أروى»، أخت «عبد الله» والد رسول الله ﷺ.

وأما الثلاث الأخريات، فقد أخرج الإمام الحافظ الذهبي في سيره: أن «البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب» و«برة بنت عبد الطلب» لم تشهدا بعثة رسول الله ﷺ وأما «أميمة بنت عبد المطلب» وهي أم «زينت بنت جحش» أم المؤمنين، فقد تشكك في إسلامها[1]. وكانت «أروى» شاعرة فصيحة مفوهة.

زواجها: تزوجت «أروى» في الجاهلية من «عمير بن وهب» فأنجبت له «طليباً»، وهدى الله «طليباً» إلى دار الأرقم، فوجد فيها رسول الله ﷺ فأسلم، ثم تزوجها «كلدة بن عبد مناف» فولدت له «أروى».

وكما كان المشركون يؤذون المسلمين، فقد عاهد «طليب» ربه أن يلحق الأذى بالمشركين، وقد تجلت غيرته للإسلام، ولنبيه عليه السلام، في مواقف عدة، فقد سمع «عوف بن صبرة السهمي» يتحدث في نفر من الناس، وينال من المسلمين، ثم تمادى، وشَتَم رسول الله ﷺ وبَصُرَ «طليب» لحي جمل على مقربة منه، فتناوله، ثم ضرب به «عوفاً» حتى أدماه، فكان أول من أدمى مشركاً، منافحاً عن رسول الله ﷺ

ولما أخبرت «أروى» بما صنعه ابنها «طليب» ردت بقولها:

إن طليباً نصر ابن خالِهْ واساه في ذي دمه ومالِهْ

ومرَّ «طليب» ببعض سفهاء قريش وفيهم أشقاهم «أبو جهل» ولما سمعه

---

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 273).

ينال من رسول الله ﷺ ويقول عنه ما لا يليق، هجم على «أبي جهل» وشجه، فانتصر له أتباعه، ثم أخذوا «طليباً» وأوثقوه، لكن خاله «أبو لهب» تدخل لإطلاقه.

وجاء ناس إلى «أروى» وقالوا لها: أرأيت إلى ابنك «طليب» لقد صيَّر نفسه غرضاً دون «محمد» فقالت لهم «أروى» برباطة جأش: «خير أيامه يوم يذُّب عن ابن خالِه، وقد جاء بالحق من عند الله» فقالوا لها: وهل اتبعت «محمداً؟». قالت: «نعم»، ولما ذهبوا إلى أخيها«أبي لهب» وأخبروه أن «أروى» قد صَبَتْ، أتاها وقال: عجباً لاتباعك «محمداً»، وتركك دين عبد المطلب. فقالت أروى: (قد كان ذلك، فقم دون ابن أخيك، واعضده وامنعه، فإن يظهر فأنت بالخيار أن تدخل معه أو تكون على دينك، وإن يصب كنت قد أُعْذِرْتَ في ابن أخيك)، فقال لها: (ولنا طاقة بالعرب قاطبة؟ جاء بدين مُحْدَثٍ)، واختار «أبو لهب» معاداة الإسلام.

طليب يدعو أمه للإسلام: لما خرج «طليب» من دار الأرقم، دخل على أمه «أروى»، ثم قال لها: قد تبعت محمداً ﷺ، وأسلمت وجهي لله، فقالت له أمه: إن أحق من وازرت وعضدت ابن خالك، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه وذببنا عنه.

فقال لها طليباً: فما يمنعك يا أماه! من أن تُسْلمي وتتبعيه؟ قد أسلم أخوك «حمزة»، فقالت له: أَنْظُرُ إلى ما تصنع أخواتي، ثم أكون إحداهن. فقال طليب: فإني أسألك بالله تعالى: إلا أتيته، فسلَّمتِ عليه، وصدَّقتِه، وشهدتِ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

واستجابت «أروى» لنداء ابنها، فأسلمت، وراحت تعضد رسول الله ﷺ بلسانها، وتدافع عن ابن أخيها ﷺ، وعن دينها، وتشجع ابنها «طليباً» وتحثه على القيام بأمر النبي ﷺ بكل ما أوتي من قوة.

وقد أخرج الإمام الحافظ الذهبي في سيره، فقال: (لم يسمع لها بعد إسلامها في مكة ذكر، ولا وجد لها رواية)[1].

وأخرج أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب [وذكر المدائني، عن عيسى ابن يزيد، عن داود بن الحصين، قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن عثمان يحدث عن أبيه قال: قال عثمان: دخلت على خالتي أعودها «أروى بنت عبد المطلب» فدخل رسول الله ﷺ، فجعلت أنظر إليه، وقد ظهر من شأنه يومئذ شيء، فأقبل عليَّ، فقال: (ما لك؟ يا عثمان!) قلت: أعجب منك ومن مكانك فينا، وما يقال عليك!.

قال عثمان: فقال: لا إله إلا الله، فالله يعلم، لقد اقشعررت، ثم قال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: 22، 23].

ثم قام فخرج، فخرجت خلفه، وأدركته، فأسلمت][2].

حزنها الشديد لوفاة النبي ﷺ: لما سمعت «أروى» رضي الله عنها بوفاة رسول الله ﷺ، حزنت حزناً شديداً، وبكته، ثم قالت ترثيه:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برًّا ولم تك جافيا

فكان على قلبي لذكر محمَّدٍ وما جَمَعَتْ بعد النبي المَجَاويا

إن ذهاب رسول الله ﷺ لم يكن فاجعة لأروى بنت عبد المطلب وحدها، ولكنه كان فاجعة لكل المسلمين، والعزاء كل العزاء فيما ترك لنا: كتاب الله وسنته المطهرة، فلنَعَضَّ عليهما بالنواجذ.

وأزف الرحيل: وفي السنة الخامسة عشرة للهجرة المباركة، آن للمنافحة عن دين الله، والمدافعة عن رسول الله ﷺ أن تستريح، فوافاها أجلها في

(1) سير أعلام النبلاء (3/ 272).

(2) الاستيعاب (4/ 1779).

المدينة - زادها الله شرفاً -، فصلى عليها أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب، وواراها ثرى البقيع، رحمها الله تعالى.

السيدة أروى بنت كُرَيْز رضي الله عنها

نسبها: اسمها «أروى»، وأبوها «كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس» أمها «أم حكيم - وهي البيضاء بنت عبد المطلب» عمة النبي ﷺ، و«أروى» أم «عثمان بن عفان» وزوجها «عفان بن أبي العاص» ولما مات خلف عليها أشقى قريش وأسفهها «عقبة بن أبي معيط» فولدت له «الوليد» و«عماراً» و«خالداً» و«أم كلثوم» و«أم حكيم» و«هنداً».

إسلامها: روى الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس، قال: أسلمت «أم عثمان» و«أم طلحة» و«أم عمار بن ياسر» و«أم عبد الرحمن بن عوف»، و«أم أبي بكر الصديق» و«الزبير» وأسلم «سعد» وأمه في الحياة.

و«عقبة بن أبي معيط» زوج «أروى» هو الذي وضع سلى الجزور على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، ثم أسر يوم بدر وقتله صبراً، «عاصم بن ثابت».

وفاتها: توفيت «أروى» في خلافة ابنها «عثمان بن عفان» رضي الله عنه، ودفنها في البقيع، رحمها الله تعالى.

السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

هل أتاك حديث ذات النطاقين، التي فقدت نور العينين، ونالها أذى طاغيتين، أحدهما كبير أشقياء المشركين، والآخر مبير فقهاء المسلمين، فويل لهما من هول يوم الحساب، يوم يقوم الناس لرب الأرباب، حتى يلقيا القصاص والعقاب.

نسبها: اسمها «أسماء» وأبوها «أبو بكر الصديق» رضي الله عنه وأبو بكر هو: «عبد الله بن أبي قحافة» وأمها: «قتيلة بنت عبد العُزَّى» وأخوها لأمها وأبيها«عبد الله بن أبي بكر» وأخواها لأبيها: أم المؤمنين «عائشة» رضي الله عنهما و«عبد الرحمٰن بن أبي بكر» وأمهما «أم رومان» رضي الله عنها وزوجها «الزبير بن العوام» الفارس المقدام، وأحد السابقين إلى الإسلام، وقد ولدت له ابنه «عبد الله بن الزبير» أول مولود للمسلمين في المدينة، على ساكنها السلام.

إسلامها: لما عرض رسول الله ﷺ الإسلام على «أبي بكر الصديق» رضي الله عنه أسلم من فوره دون أي تردد، لثقته العميقة برسول الله ﷺ، فقد كانا متصادقين متصافيين من أيام الجاهلية، ولما عاد إلى داره أخبر أهله بما صنع ودعاهم إلى متابعته، فأسلمت امرأته «أم رومان» وابنتها «عائشة» وأسلمت أختها «أسماء» وأخوها «عبد الله» وأمَّا أمها «قتيلة» التي طلقها « الصديق» فبقيت على دين آبائها.

وأما «عبد الرحمٰن بن أبي بكر» فقد تأخر إسلامه كثيراً حتى هداه الله إلى الإسلام بعد «أُحُد».

وكان طاغية قريش وأشقاها «عمرو بن هشام» المعروف بأبي جهل أول من نالت «أسماء» أذاه، وكان ذلك عشية الهجرة المباركة إلى المدينة، وقريش متربصة برسول الله ﷺ للفتك به.

هجرة النبي ﷺ وصاحبه: برز دور «أسماء بنت الصديق» مع بدء الهجرة إلى المدينة،[تقول السيدة«عائشة» رضي الله عنها لقَلَّ يوم كان يأتي على النبي ﷺ إلا يأتي فيه بيت «أبي بكر» أحد طرفي النهار، فلما أذن له في الخروج إلى المدينة، لم يَرُعْنا إلا وقد أتانا ظهراً، فخُبِّر به «أبو بكر»، فقال: ما جاءنا النبي ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث.

فلما دخل عليه قال لأبي بكر: «أَخْرِجْ مَنْ عندك» ، قال: يا رسول الله! إنما هما ابنتاي، يعني عائشة وأسماء. قال: (أشَعَرْتَ أنه قد أُذِنَ لي في الخروج؟) قال: الصحبة، يا رسول الله! قال: (الصحبة، يا أبا بكر!).

obeikandl.com

قال: يا رسول الله! إن عندي ناقتين أعددتهما للخروج، فخذ إحداهما، قال: (قد أخذتها بالثمن).

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيت «أبا بكر» يبكي يومئذ. وأي شيء أفرح من الهجرة إلى الله بصحبة رسول الله ﷺ؟.

وأمر رسول الله ﷺ «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه أن ينام في فراشه ويتسجى ببرده، وأن يلحق به بعد أن يرد الأمانات المودعة لديه إلى أهلها.

ولما انطلق رسول الله ﷺ وصاحبه «الصديق» مهاجرين، جاء «أبو جهل» إلى بيت «أبي بكر» يطرق بابه، فخرجت له «أسماء» ولما سألها: أين أبوها، قالت له: لا أدري، فلم يتورع ذلك الخبيث الفاجر عن لطمها لطمة قوية أطاحت بقرطها إلى الأرض، ثم مضى لا يلوي.

أقام رسول الله ﷺ ثلاث ليال مع صاحبه «الصديق» مستخفيين في غار «ثور»، و «أسماء» تعد كل يوم سفرة لطعام رسول الله ﷺ وأبيها، وحين أعياها أن تجد ما تربط به السفرة، عمدت إلى نطاقها فشقته نصفين، وربطت السفرة بأحدهما، وأما الثاني فاحتفظت به لنفسها، ولما علم رسول الله ﷺ بما صنعت قال لها: (أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة)(1) فأية بشرى عظيمة نالت؟ وصارت من يومئذ تسمى - ذات النطاقين -.

وبعد أن استقر مقام رسول الله ﷺ وصاحبه «الصديق» بالمدينة، أرسل رسول الله ﷺ إلى مكة من يأتيه بباقي أهله، وأمر «الصديق» ولده «عبد الله» أن يأتيه بباقي أهله، وكان قد خلَّف بمكة زوجه «أم رومان» وابنته «عائشة» وابنته «أسماء» وكانت حاملاً من زوجها «الزبير بن العوام». وحين وضعت مولودها، أسلمته إلى أختها «عائشة» لتذهب به إلى رسول الله ﷺ ليحنكه

(1) الاستيعاب (4/ 1782).

ويسميه، وسماه «عبد الله» ثم كناها بابن أختها، فكانت تدعى «أم عبد الله».

وكبر «عبد الله» وشبَّ، وكان «الزبير» يردفه خلفه إذا خرج للغزو، ليتدرب على لقاء الأبطال، ويتعلم فنون القتال.

ومما عرف به «الزبير» ﵁ شدته على النساء وغيرته، وذات يوم حصلت مشادة بينه وبين امرأته «أسماء» فراح يضربها، وأخذت «أسماء» تستغيث وتصرخ، وفيما كان «عبد الله» عائداً إلى البيت سمع استغاثتها، فهبَّ لنجدتها، ولما أن أراد أن يدخل على أبويه ليخلصها، سمع أباه يقول له: إذا دخلت فأمك طالق، فقال له «عبد الله»: أتجعل أمي عرضة ليمينك؟ ثم دخل، فبانت «أسماء» من زوجها، وكان الفراق: فقعدت على ابنها، ولم تتزوج، وراحت تغرس فيه أفضل الشمائل، وأكرم الفضائل، حتى غدا رجلاً جَلْداً شجاعاً، وفارساً منقطع القرين، وكان يزينه تقى وصلاح، وسكون ووقار في صلاته، وخشوع فذ، حتى إن «العصافير» - وفي طبعها النفور - كانت تظنه جذعاً أو ثوباً ملقى، فتقف على ظهره وهو ساجد، فلا تنفر حتى يرفع رأسه للقيام.

واستقل «عبد الله» بإمارة الحجاز. وأبى أن يكون تابعاً لبني أمية، فعزم «عبد الملك بن مروان» أن يقضي على تمرده، وكلف «الحجاج بن يوسف الثقفي» بالتوجه إليه، والقضاء عليه، دون أن يرقبا في مكة إلًّا ولا ذمة، أو يرعيا لها قُدْسِيَّة وحرمة.

ولم يرتَوِ قاتل العلماء، ومبير الفقهاء، بكل ما سفك من الدماء، فخرج بجيشه إلى البلد الحرام، ونصب مجانيقه على جبل «أبي قبيس»، وفرض عليها أغشم حصار، فاستحق غضب العزيز الجبار، وانتهك حرمة المسجد الحرام حين رشقه بالأحجار، وكان ابن «الزبير» وأصحابه، قد لجأوا إليه ولاذوا به، ولما ثقل الحصار عليهم واشتدت وطأته، تخلى بعضهم عن نصرته، وانحاز بعضهم إلى عدوه وفيهم ذوو قرابته، فاغتنم «عبد الله»

فرصة يلتمس فيها رأي أمه «أسماء» ذات الحكمة والفطنة والذكاء، وكانت قد فارق عينيها الضياء، ولما سمعت منه تخلي أصحابه وبنيه عنه. قالت له: يا بني! إياك وأن تعطي خصلة من دينك مخافة القتل، فقال: أخشى أن يمثلوا بي إذا أنا قتلت، فقالت: إن الشاة لا يهمها سلخها بعد ذبحها، فامضِ على بصيرتك واستعن بالله، وحين أراد أن يعانقها ويودعها تحـــت صدره بيدها، فعلمت أنه يلبس الدرع، فقالت: ما يلبس هذا من يريد الشهادة، فنزعه عنه، وخرج، وراح يقاتل ببسالة، ثم سقط عليه جانب من إحدى شرفات الحرم، فقتل، ولما أخبر «الحجاج» أمر بصلبه، وقيل: إنه عندما ودَّع أمه، قال لها:

أَسْـمَـاء إِنْ قُـتِـلـت لا تَـبْـكِـيـنِـي لَـمْ يَـبْـقَ إِلَّا حَـسْـبِـي وَدِيـنِـي
وَصَـارِم لاَنَـتْ بِـهِ يَـمِـيـنِـي

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه، [عن عقبة بن مُكْرَم العمِيِّ، حدثنا يعقوب «يعني ابن إسحاق الحضرمي»، أخبرنا الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل، رأيت «عبد الله بن الزبير» على عقبة المدينة - هي عقبة بمكة -، قال: فجعلتْ قريش تمر عليه والناسُ، حتى مرَّ عليه «عبد الله بن عمر» فوقف عليه، فقال: السلام عليك، أبا خبيب - كنية ابن الزبير، وهو أكبر ولده - السلام عليك، أبا خبيب، السلام عليك، أبا خبيب! أما والله! إن كنتَ، ما علمتُ، صواماً، قواماً، وصولاً للرحم، أما والله! لأُمَّةٌ أنت أَشَرُّها لأُمَّة خير.

ثم نَفَذَ «عبد الله بن عمر» - أي: انصرف -، فبلغ «الحجاج» موقفُ «عبد الله» وقولُه، فأرسل إليه - أي إلى ابن الزبير - فأُنْزِلَ عن جِذْعه، فأُلْقيَ في مقابر اليهود.

ثم أرسل إلى أمه «أسماء بنت أبي بكر»، فأبت أن تأتيه، فأعاد عليها الرسول: لَتأتينِّي أو لأبعثَنَّ إليك مَنْ يسحبك بقرونك، أي: من يجرك بضفائر شعرك -.

قال: فأبت وقالت: والله! لا آتيك حتى تبعث إليَّ مَنْ يسحبني بقروني. قال: فقال: أروني سِبْتَيَّ - السِّبْتُ: النعل التي لا شعر عليها -، فأخذ نعليه، ثم انطلق يَتَوَذَّفُ - يسرع أو يتبختر -، حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيتني صنعتُ بعدو الله؟ قالت: رأيتُك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، بلغني أنك تقول له: يا بن ذات النطاقين! أنا، والله! ذات النطاقين، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ، وطعام «أبي بكر» من الدواب، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، أما إن رسول الله ﷺ حدثنا «أن في ثقيف كذاباً ومبيراً» - الكذاب هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان شديد الكذب، والمبير: هو المُهلِكُ -، فأماالكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه، قال: فقام عنها ولم يراجعها][1].

يا له من سفيه جريء، متطاول على عباد الله الصالحين، وقرابة رسول الله ﷺ المقربين!.

وفي رواية: أن «أسماء» لما التقت به قالت له: أما آن لهذا الفارس أن يترجَّل؟ فأمر بإنزاله. رحم الله ابن الزبير وعوضه الجنة. وبعد أن صلب «ابن الزبير» دخل «عبد الله بن عمر» رضي الله عنهما المسجد، فَقيل له: إن «أسماء» أم «عبد الله» في ناحية المسجد، فذهب إليها، وقال: إن هذه الجثث ليست بشيء، وأما الأرواح فعند الله، فاتقي الله، وعليك بالصبر، فقالت: وما يمنعني وقد أُهدي رأس «يحيى بن زكريا» إلى بَغيٍّ من بغايا بني إسرائيل؟.

وروى هشام بن عروة، عن أبيه. (بلغت «أسماء» مائة سنة لم يسقط لها سن، ولم ينكر لها عقل)[2].

من فضائلها وورعها: كانت «أسماء» رضي الله عنها معتزة بدينها، شديدة التمسك بأحكامه. وقد رغبت أمها المشركة بزيارتها ومعها هدية لها، فما الذي صنعته «أسماء»؟ لقد رفضت الهدية، ولم تسمح لأمها بالدخول

---

(1) صحيح مسلم برقم (229/ 2545).

(2) الإصابة (4/ 230).

عليها، حتى سألت رسول الله ﷺ، وجاء في حديث أبي كريب، محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: قدمت عليَّ أمي، وهي مشركة، في عهد قريش إذ عاهدهم، فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! قدمت عليّ أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: (نعم، صلي أمك)[1]. فأذنت لها، وقبلت هديتها.

وكانت رضي الله عنها كثيرة الصدقة، وتنفق دون مخافة الفقر، وإذا مرضت، ثم برئت من مرضها، بادرت إلى إعتاق عدد من مواليها. شكراً لله، وعرفاناً بفضله وأنعمه التي لا حصر لها. وكانت توصي أولادها بالبذل والإنفاق، ولا تمسك شيئاً مما يأتيها حتى تضعه في حاجات الأرامل واليتامى والمساكين.

وفاتها: لم تمضِ أيام قلائل على استشهاد شبلها «عبد الله» حتى شدها الشوق إليه، فرحلت الصابرة المؤمنة المهاجرة ذات المائة عام، رحمها الله تعالى.

السيدة أسماء بنت عُمَيْس رضي الله عنها

هل أتاك حديث فريدة النساء، المشهود لها بالفطنة وحدة الذكاء، التي دعا لها رسول الله ﷺ لحضورها عرس «الزهراء»؟ إذاً، فاعلم أنها «بنت عميس» واسمها «أسماء».

نسبها: أبوها «عميس بن مَعْد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شهران بن عِضْرِس بن خلف بن أقبل»، وهو جماعة خثعم بن أنمار على الاختلاف في أنمار هذا، وقيل: «أسماء بنت عميس بن مالك

(1) صحيح مسلم برقم (50/ 1003).

ابن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن زيد بن بشر بن وهب الله الخثعمية من خثعم»[1]، وهكذا رواه ابن الأثير، إلا أنه ذكر أَفْتَل بدل أَقْبَل[2]. وأمها: «هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن كنانة»، وهي أخت «ميمونة» زوج النبي ﷺ، وأخت لبابة «أم الفضل» زوجة «العباس» وأخت أخواتها، وكانت «هند» أكرم الناس أصهاراً..

زواجها وهجرتها إلى الحبشة: تزوجت «أسماء» من «جعفر بن أبي طالب» وكان إسلامهما مبكراً قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، ولما أسرفت قريش في إيذائها للمسلمين، أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم، ولأن ملكها «النجاشي» لا يظلم على أرضه أحد، وبعد وصول المهاجرين إلى مُهَاجَرهم في الحبشة، أرسلت قريش في إثرهم «عمرو بن العاص» و«عبد الله بن أبي ربيعة» بهدايا إلى «النجاشي» ليسلمهما المهاجرين، ويعودا بهم إليها، فأبى «النجاشي» ذلك، وقال لهما مُغْضَباً: (لاها الله إذاً، لا أسلمهم إليهما، ولا يُكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني) واستدعى «النجاشي» المهاجرين، وسألهم: (ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟).

وكان المهاجرون قد أجمعوا أمرهم على أن يكون «جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه » هو المتحدث باسمهم أمام «النجاشي» فقال له: «أيها الملك! كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا، رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه،

---

(1) الاستيعاب (4/ 1784).

(2) أسد الغابة (5/ 212).

فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبده، ونخلع ما كنَّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - وعدَّد عليه أمور الإسلام-، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وَحَرَّمنا ما حَرَّم علينا، وأحللنا ما أَحَلَّ لنا، فعدا علينا قومنا، فغلبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحلَّ ما كنا نستحلُّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وضيَّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أَلَّا نظلم عندك ، أيها الملك!».

فقال «النجاشي»: هل معك مَمَّا جاء به من الله من شيء؟ فقال له «جعفر» رضي الله عنه : نعم، فقال «النجاشي»: فاقرأه عليَّ، فقرأ عليه قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: 1-36]

فبكى «النجاشي» حتى اخضلَّت لحيته، وبكت أساقفته، حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم «النجاشي»: «إن هذا والذي جاء به «عيسى» عليه السلام ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما أبداً، ولا والله لا يكادون عندي».

فلما خرج «عمرو» و «ابن أبي ربيعة» من عند «النجاشي»، قال«عمرو» لصاحبه: والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم، فقال له: لا تفعل، فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرَنَّه أنهم يزعمون أن «عيسى ابن مريم» عبد. ثم غدا عليه من الغد، فقال له: أيها الملك! إنهم يقولون في «عيسى ابن مريم» قولاً عظيماً، فأرسل إليهم

فَسَلْهُم عما يقولون فيه، فأرسل الملك إليهم وسألهم: (ماذا تقولون في «عيسى ابن مريم؟» فقال له خطيب المهاجرين «جعفر» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ، وهو يقول: «هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى «مريم العذراء البتول» فضرب «النجاشي» بيده على الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: «والله، ما عدا «عيسى ابن مريم» ما قلت هذا العود).

ثم قال للمهاجرين: (اذهبوا فأنتم شُيُوم بأرضي - أي: آمنون بلغة الحبشة-، من سَبّكم غَرِمَ، من سَبّكم غَرِمَ، من سَبّكم غَرِمَ)، ثم قال: (ما أحب أن لي دَبْراً - أي: جبلاً - من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم، رُدُّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة، حين رَدَّ عليَّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه).

فخرج «ابن العاص» و«ابن أبي ربيعة» من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقام المهاجرون بخير دار، مع خير جار. وفي الحبشة ولدت «أسماء» لجعفر ثلاثة ذكور هم: «محمد» و«عبد الله» و «عون».

الهجرة إلى المدينة: عاد المهاجرون من الحبشة إلى مكة، وفيهم «جعفر ابن أبي طالب» وزوجه «أسماء بنت عميس» وأولادهما الثلاثة، فرأوا رسول الله ﷺ قد هاجر إلى المدينة، فتابعوا سيرهم، حتى إذا انتهوا إليها، علموا أن رسول الله ﷺ قد خرج بالمسلمين إلى خيبر، فانطلقوا وراءه، وحين وصلوها كان الله قد فتحها على رسول الله ﷺ، فلما رآهم رسول الله ﷺ التزم «جعفراً» وقبّل بين عينيه، وقال: (ما أدري بأيهما أُسَرُّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟) ثم سلم على المهاجرين. وكان رسول الله ﷺ يكن لجعفر حباً عميقاً، ويقول له: (أشبهت خَلْقي وخُلُقي). وأطلق على «أسماء» وأخواتها «الأخوات المؤمنات»، وأي شيء أعظم من وصف المؤمنات؟ ففي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: (الأخوات المؤمنات: «ميمونة بنت الحارث»، و«أم الفضل» و«سلمى»، و«أسماء»)، وفي رواية أخرى: (الأخوات الأربع مؤمنات: «ميمونة»، و«أم الفضل»،

و«سلمى»، و«أسماء»). والروايتان أخرجهما «أبو عمر بن عبد البر» في «الاستيعاب»[1].

فراق الحبيب: كانت «أسماء» سعيدة مع زوجها «جعفر» إلى أقصى درجات السعادة، ولكن السعادة ليس لها دوام، ولا يرجى لها استمرار، وكل مقَّدر آتٍ في يوم لا مِرْيَةَ فيه ولا ارتياب.

وحين أراد رسول الله ﷺ أن يوجه جيشاً لقتال الروم، أمَّر عليه - ولأول مرة - ثلاثة أمراء كرام، وكان الموعد «مؤتة» وقد أخرج «أبو جعفر بن جرير الطبري» في تاريخه، عن ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: بعث رسول الله ﷺ بَعْثَهُ إلى «مؤتة» في جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم «زيد بن حارثة»، وقال: (إن أصيب «زيد بن حارثة» ف «جعفر بن أبي طالب» على الناس، فإن أصيب «جعفر» ف «عبد الله بن رواحة» على الناس).

فتجهز الناس، ثم تهيأوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودَّع الناسُ أمراءَ رسول الله ﷺ، وسلموا عليهم وودعوهم، فلما وُدِّع «عبد الله بن رواحة» مع من وُدِّع من أمراء رسول الله ﷺ بكى، فقالوا له: ما يبكيك يا بن رواحة؟ فقال: أما والله، ما بي حب الدنيا، ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: 71] فلست أدري كيف لي بالصَّدر بعد الورود؟.

فقال المسلمون: صحبكم الله، ودفع عنكم، وردَّكم إلينا صالحين، فقال «عبد الله بن رواحة»:

---

(1) الاستيعاب (4/ 1909).

[لكنني أسأل الرحمٰن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنَةً بيدي حَرَّان مجهزة بحربة تُنْفِذُ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مَرُّوا على جثتي يا أرشد اللهُ من غازٍ وقد رشدا][1]

والتقى جمع المسلمين وهم ثلاثة آلاف، كما تقدم مع جمع الروم ومن انضم إليهم من المستعربة، وكلهم مائتا ألف، ولم يكن هناك تكافؤ بين الفريقين - بطبيعة الحال، وتقدم «زيد بن حارثة» الأمير الأول فقاتل حتى تناوشته رماح القوم فسقط شهيداً، ثم تقدم «جعفر بن أبي طالب» واختطف الراية من يد «زيد» قبل أن تسقط على الأرض، ثم اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها - أي ضرب قوائمها بالسيف - وراح يقاتل ببسالة وهو يرتجز:

يا حبذا الجنَةُ واقترابُها طيبة وبارد شرابُها
والروم روم قد دنا عذابها كافرةً بعيدةً أنسابُها
علَيَّ إذ لاقيتُها ضرابُها

وأصابت ضربةُ سيفٍ عينه فطرحتها، ثم أتته ضربةُ سيفٍ أخرى ففصلت شماله، فحاز الراية بين عضديه، ثم أحاطت به الرماح والسيوف، فلم يدعوه حتى لحق بأخيه «زيد»، ونال الشهادة، وترَدَّدت نفس «عبد الله بن رواحة» إلا أنه التقط الراية التي أمسكها «جعفر» بعضديه، وراح يقول لها:

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيتِ إن تفعلي فعلهما هديتِ

إنه يدعو نفسه لتسلك سبيل أخويه «زيد» و «جعفر» فإن فعلت ما فعلاه، فقد سلكت سبيل الهدى الذي لا يرجى سواه، وقاتل «ابن رواحة» بضراوة حتى فاز بالشهادة، وهكذا بُلِّغَ الأمراء الثلاثة إحدى الحسنيين، فقد كانوا على موعد مع الحور العين، وتقدم «خالد بن الوليد» فأمَّر نفسه، وبحنكته المعهودة تمكن من الانسحاب بالمسلمين، نائياً بهم عن موطن الهلاك،

(1) تاريخ الطبري (3/ 37).

فالسيف الواحد لا يفعل شيئاً حيال سبعين، كما كان عليه الحال يوم مؤتة، وفي «طيبة» الغرَّاء [صَعِدَ رسول الله ﷺ المنبر، وأمر فنودي: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس إلى رسول الله ﷺ فقال: (باب خير، باب خير، باب خير، أخبركم عن جيشكم الغازي، إنهم انطلقوا فلقُوا العدو، فقتل «زيد» شهيداً - واستغفر له - ثم أخذ اللواء «جعفر» فشَدَّ على القوم حتى قتل شهيداً - فشهد له بالشهادة واستغفر له - ثم أخذ اللواء «عبد الله بن رواحة» فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً - فاستغفر له - ثم أخذ اللواء «خالد ابن الوليد» - ولم يكن من الأمراء، هو أمَّر نفسه) - ثم قال رسول الله ﷺ: (اللهم! إنه سيف من سيوفك، فأنت تنصره) - فمنذ يومئذ سمي «خالد» سيف الله - ثم قال رسول الله ﷺ: [(أبكروا فأمدوا إخوانكم، ولا يتخلفَنَّ منكم أحد)، فنفروا مشاة وركباناً، وذلك في حر شديد][1].

من أخبر «أسماء» باستشهاد زوجها؟ أخرج الإمام أحمد، عن أم عيسى الجزَّار، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب، عن جدتها أسماء بنت عميس، قالت: لما أصيب «جعفر» وأصحابه دخلتُ على رسول الله ﷺ، وقد دبغت أربعين مَنِيئَةً - أي: جِلْداً -، وعجنت عجيني، وغسَّلت بَنِيَّ ودهنتهم ونظفتهم، فقال رسول الله ﷺ (ائتيني ببني جعفر) قالت: فأتيته بهم فشمَّهم، وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي، ما يبكيك؟ أبلغك عن «جعفر» وأصحابه شيء؟ قال: (نعم، أصيبوا هذا اليوم) قالت: فقمت أصيح واجتمع إليَّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: (لا تُغْفِلُوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم)[2].

ولما اجتمعت النساء إلى «أسماء» ليواسينها ويعزينها، جعل رسول الله ﷺ يقول: (يا أسماء! لا تقولي هُجْراً، ولا تضربي صدراً»)، ثم قال:

---

(1) تاريخ الطبري (3/ 41).

(2) مسند الإمام أحمد برقم (25839).

(تسلَّبي[1] ثلاثاً، ثم اصنعي ما شئت). ولما دخل رسول الله ﷺ على ابنته «فاطمة الزهراء» وجدها تندب «جعفراً» وتقول: واعمَّاه! فقال رسول الله ﷺ: (على مثل «جعفر» فلتبك الباكية).

الزواج الثاني: واعتدت «أسماء» واستعانت بالصبر والصلاة على مصابها كما أمر الله تعالى، حتى إذا كان يوم «حنين» كانت قد حَلَّت، وكان «الصديق» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد تأيَّم بعد وفاة زوجه «أم رومان» فزوجه ﷺ «أسماء بنت عميس»، وكانت «أسماء» قد شكت لرسول الله ﷺ يُتْم بنيها، فقال لها ﷺ: «العَيْلَةَ - الفقر والحاجة - تخافين عليهم يا «أسماء»، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟».

ووجدت «أسماء» في «أبي بكر» خير خلف لخير سلف، وولدت له «محمد بن أبي بكر» وكان «الصديق» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقدرها ويكرمها، وكيف لا، ورسول الله ﷺ كان سفير زواجه منها؟ وفيما كان الزوجان الكريمان يعبَّان كؤوس السعادة دُهيًا بمصابٍ جلل، حين التحق الحبيب الأعظم ﷺ بالرفيق الأعلى، ومما زاد في أساهما انقطاع الوحي من السماء.

وخلف «الصديق» رسول الله ﷺ في تولي شؤون المسلمين، وبدأت الرياح تعترض مسار السفينة التي تسلم قيادتها، وكان بعضها خفيف لطيف، وبعضها عاتٍ وكثيف، ولكن ظن بعض السُّذَّج، أن لين «الصديق» ورقته ورفقه تدل على أنه ضعيف، لا يقوى على الصمود أمام تلك الرياح، وما أسرع ما خيَّب ظنونهم، وجعلهم حيارى ذاهلين، وليس الخبر كالعِيان.

لم تكن «أسماء» زوجاً للصِّديق، وأماً لولده فَحَسْبُ، ولكن كانت وزيرة صدق تقف إلى جانبه، وتعينه فيما يبرز أمامه من مصاعب ومعوقات، ولا تنأى بنفسها عنه عند الأزمات.

وقبل أن يغمض رسول الله ﷺ عينيه للمرة الأخيرة، أمر بتجهيز جيش

(1) تسلَّبت المرأة: لبست السِّلاب، وهو لباس الحزن والحداد.

لملاقاة الروم أمَّر عليه «أسامة بن زيد» وما أدراك من أسامة! إنه حِبُّ الحِبِّ، وسمع رسول الله ﷺ همسات من بعض الصحابة، تعترض على إمارة«أسامَة» لحداثة سنه، وفي الجيش الأكابر، ومن بينهم «أبو بكر» و «عمر» رضي الله عنه وما كان رسول الله ﷺ ليسكت عن تلك الهمسات، أو ليتجاهلها، فقال: (إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وايم الله إن كان لخليقاً بها، وايم الله إن كان لأحب الناس إليَّ، وايم الله إن هذا لخليق بها، وايم الله إن كان لأحبَّ الناس إليَّ من بعد أبيه، فأوصيكم به فإنه من صالحيكم). ورحل الحبيب الأعظم ﷺ إلى لقاء ربه، وولي الأمر«الصديق» رضي الله عنه وعادت الهمسات من جديد، وقد علا بعضها، ولما سمعها «الصديق» قابلها بغضب شديد، وأنفذ بعث «أسامة» كما أمر رسول الله ﷺ، ثم خرج يشيع الجيش و «أسامة» راكب، و«أبو بكر» يسير إلى جانبه ويوصيه، ولما رأى ذلك «أسامة» قال له: إما أن أنزل، وإما أن تركب، ولكن «الصديق» أصر على «أسامة» أن يبقى راكباً، وأن يمشي هو، وقال: وما عليَّ أن أغبِّرَ قدميَّ في سبيل الله ساعة، ثم استأذن «أسامة» في بقاء «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه إلى جانبه، فأذن له، ومضى «أسامة» على بركة الله، وفتح الله على يديه، إن مثل موقف «الصديق» من «أسامة» ليس له في التاريخ من نظير، ولكن تحت قنطرة الإسلام يوجد الكثير، وكانت الأزمة الأنكى ارتداد بعض الناس، وامتناع بعضهم عن إيتاء الزكاة. ولكن «الصديق» جيَّش الجيوش لمجاهدتهم، وقال: (والله لو منعوني عقالاً مما كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لجاهدتهم عليه حتى تلحق روحي بالله) ولما سمع «عمر» مقالته، قال: والله قد علمت حين عَزَم الله لأبي بكر على قتالهم أنه الحق.

وظهرت جيوش الحق، وزهق الباطل، وقتل من قتل، وثاب من ضلُّوا إلى رشدهم، وأثبت «الصديق» أن قوة الحق ليس لها غالب، والله هو الحق، والنصر من عنده، ولينصرن أتباعه ولو بعد حين.

وكانت «أسماء» صوامة، وقلَّما كانت تفطر، ولما حضرت «أبا بكر»

الوفاة، أوصاها أن تفطر، وتغسله بنفسها، حتى إذا فاضت روحه إلى بارئها أنفذت وصيته، ومن أجدر من «أسماء» بحفظ العهد والوفاء!.

الزواج الثالث: كان الأمر المتعارف عليه على عهد رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، إذا مات رجل من الصحابة أن تعتد امرأته حتى إذا حلَّت وخرجت من عدتها، يُسَارَعُ إلى خطبتها حتى لا تضيع هي وأبناؤها، أو يكونوا عالة على أحد، ولما آمت «أسماء» من «أبي بكر» رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بادر «علي» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى خطبتها، وتم الزواج، وقد ذكر «ابن سعد» في طبقاته عن الواقدي أنها ولدت له «عوناً» و «يحيى» وقال آخرون: ولدت له «يحيى»[1] فقط، والله أعلم.

وعاشت «أسماء» وبنوها من «جعفر» وابنها من «أبي بكر» في بيت أمير المؤمنين «علي بن أبي طالب» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومن المعلوم أن «عمر بن الخطاب» كان إذا طرأت له معضلة يجد لها مخرجاً عند أبي الحسن «علي»، بيد أن «أبا الحسن» وجد نفسه أمام معضلة شائكة، ذلك أنه سمع «محمد بن جعفر» و «محمد بن أبي بكر» يتفاخران، وكل منهما يقول لصاحبه، أنا أكرم منك وأبي خير من أبيك، ووقف أمير المؤمنين، حائراً بين الاثنين، لا يدري ما يقول، فالأول ابن ذي الجناحين الطيار، والثاني ابن الصدِّيق رفيق الغار، فما أصعب الاختيار؟ ورأى إحالة القضية إلى «أسماء» ذات الحكمة والذكاء، فنادى عليها ولما حضرت قال لها علي: ما قولك فيما يقولان؟ وانفرجت شفتا هذه المرأة الفذة وقالت: ما رأيت شاباً خيراً من «جعفر»، ولا كهلاً خيراً من أبي بكر. وانحسم الخلاف، وتعانق الأخوان، وعادا يلعبان، وكأنهما حميمان قديمان.

وبهر أمير المؤمنين حُسْنُ قضائها، وبَصُرَ بفرحة النصر التي غمرت وجهها، فرأى مداعبتها، فقال: فما أبقيت لنا؟ ومن ظن أن السؤال محرج، فصدق ظنه، إلا مع «أسماء» وبكل الأدب والاحترام والمعرفة

---

(1) الاستيعاب (4/ 1785).

بحقه عليها، قالت: يا أمير المؤمنين! إن ثلاثة أنت أخَسُّهم لخيار. فما أجمله من جواب ملأ بالغبطة نفس أمير المؤمنين، ودل على أنها جديرة أن تكون زوجة خليفة المسلمين.

روايتها للحديث: روت حديث رسول الله ﷺ وروى عنها «عمر» و «أبو موسى» وابنها «جعفر».

وفاتها: ولما بلغها قتل ولدها «محمد» بمصر قامت إلى مسجد بيتها، وكظمت غيظها حتى شخب ثدياها دماً[1]، ونزفت حتى ماتت، رحمها الله تعالى.

السيدة أسماء بنت يزيد رضي الله عنها

هل أتاك حديث خطيبة النساء، الفصيحة البليغة الحادة الذكاء، التي [كانت من ذوات العقل والدين][2]، ومَثَّلت عند رسول الله ﷺ نساء المسلمين، ثم رجعت إليهن بالخبر اليقين؟ إنها «أسماء بنت يزيد» التي أدهشت جمعاً من الصحابة، بما أسمعتهم من حسن الخطابة.

نسبها: أبوها: «يزيد بن السكن بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس» وأمها «أم سعد بنت خزيم الأشهلية»، وزوجها «أبو سعيد الأنصاري سعيد ابن عمارة» وابن عمها «معاذ بن جبل». ولها كنيتان: «أم سلمة» و «أم عامر». وكان إسلامها مع السابقين الأولين من الأنصار.

وقد دفعها حبها لدينها إلى كثرة السؤال والتحري عن أحكامه، ولذا كانت تتردد على السيدة «عائشة» أم المؤمنين، لتسألها أو لتسأل رسول الله ﷺ إذا وجدته عندها، وكانت شديدة الاستجابة لنصائحه وإرشاداته،

(1) الإصابة (4/ 231).
(2) الاستيعاب (4/ 1787).

وقد روى الإمام أحمد، عن شهر، عن أسماء بنت يزيد، قالت: أتيت رسول الله ﷺ لأبايعه فدنوتُ، وعليَّ سواران من ذهب، فبصُرَ ببصيصهما، فقال: (ألقي السوارين، يا أسماء!، أما تخافين أن يسورك الله بسوار من نار؟) قالت: فألقيتهما فما أدري من أخذهما[1].

إن الذهب زينة للمرأة، ولكن «أسماء» حين رأت كراهة رسول الله ﷺ له وأمره لها بإلقاء السوارين، حوَّله إلى شيء قذر ينبغي لها أن تنحيه عنها، وأبت أن تحمل السوارين وتستفيد من ثمنهما، فما أروع استجابتها لأمر النبي ﷺ! وما أشد ورعها!.

حب الجهاد:

نشأت «أسماء» في أسرة محبة للجهاد، ويوم أحد بذل عدد من أهلها أرواحهم دفاعاً عن دين الله، وذوداً عن رسوله ﷺ ولما كسرت رباعية رسول الله ﷺ وخضِّب الدم وجهه الشريف، تترَّس عدد من المهاجرين والأنصار دونه ليحولوا دون وصول أي أذى إليه، واستشهد أبوها «يزيد بن السكن» وأخوها «عامر بن يزيد» وابن عمها «عُمارة بن زياد» وطعن عمها «زياد بن السكن» طعنه بالغة، وهو ينافح عن رسول الله ﷺ ورآه رسول الله ﷺ فأدناه منه، ووسده قدمه الشريفة، حتى فاضت روحه، وخرجت «أم عامر» يومئذ تتسقط أخبار المعركة، فنعي لها أبوها وأخوها، وعمها وابنه، فتلقت الخبر برباطة جأش، ولم تصرخ، ولم تشق جيباً، أو تلطم خداً أو تحثي على رأسها التراب، كما تصنع الجاهلات، ولكنها استرجعت وسألت بلهفة: فما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالوا: إنه بخير والحمد لله، فقالت: أرونيه حتى أ نظرإليه، فأشاروا إلى مكانه، فلما رأته حياً، قالت: كل مصيبة بعدك جَلَلُ - أي: هينة -، يا رسول الله!. وقد شهدت «اليرموك» وقتلت تسعة من الروم بعمود فسطاطها.

(1) مسند أحمد رقم (26283).

سؤالها عن دينها:

وجاء في حديث مسلم بن عبيد: «أنها أتت النبي ﷺ، وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمي، يا رسول الله! أنا وافِدَة النساء إليك، إن الله عزّ وجلّ، بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلٓهك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عَزَّ وجَلَّ، وإن الرجل إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفما نشارككم في هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: «هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه؟» فقالوا: يا رسول الله! ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا.

فالتَفَتَ النبي ﷺ إليها، فقال: (افهمي أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء، أن حسن تبعُّل المرأة لزوجها - أي: إطاعتها لزوجها -، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله)، فانصرفت المرأة وهي تهلل»[1].

وعن شهر بن حوشب: أن «أسماء بن يزيد بن السكن» إحدى نساء بني عبد الأشهل، قالت: (إني قيَّنتُ «عائشة» لرسول الله ﷺ) وذكر الحديث.

بركة طعامها: قالت «أم عامر»: رأيت رسول الله ﷺ صلى في مسجدنا المغرب، فجئت بَعْرق - أي: بعظم عليه رقائق لحم- وأرغفة، فقلت: بأبي أنت وأمي، تَعَشَّى، فقال لأصحابه: (كلوا باسم الله)، قالت: فأكل هو وأصحابه الذين جاؤوا معه، ومن كان حاضراً من أهل الدار، فوالذي نفسي بيده، لرأيت بعض العَرْق لم يتعرقه، وعامة الخبز، وإن القوم أربعون

(1) أسد الغابة (5/ 216).

رجلاً، ثم شرب من ماء عندي في شجب - قربة - فدهنته وطويته، فكنا نسقي منه المريض، ونشرب منه في الحين رجاء البركة.

روايتها الحديث: كانت أكثر نساء الأنصار حفظاً ورواية، لها واحد وثمانون حديثاً في كتب الحديث، عند الترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجه، وسواهم.

وفاتها: امتدت حياة «أسماء» إلى ما بعد معركة اليرموك بسبعة عشر عاماً، ثم وافاها الأجل، رحمها الله تعالى.

السيدة أمامة بنت أبي العاص رضي الله عنها

هل أتاك حديث السبطة النبوية، التي آثرها جدها ﷺ على أزواجه بالهدية؟ إنها «أمامة بنت أبي العاص»، المشهود لها بالوفاء والإخلاص.

نسبها: أبوها «أبو العاص بن الربيع» وأمها «زينب بنت رسول الله ﷺ» وخالاتها «رقية» و«أم كلثوم» و «فاطمة الزهراء» وجدها لأمها صفوة الخلق والأنبياء، وجدتها لأمها «خديجة» سيدة النساء، فهل بعد هذا النسب المطهر من رجاء؟.

أرضعتها أمها «زينب» بلبن الإيمان، وغذَّتها بسيرة جدها النبي المصطفى العدنان، وغرست فيها مبادىء الإسلام، فكانت شعلة نور بين الأنام.

كان بين جدها رسول الله ﷺ، وأبيها «أبي العاص» وفاق في خصلتين هما الصدق والأمانة، وقد شهد جدها لأبيها«أبي العاص» بذلك حيث قال: «فحدثني فصدقني» ومن كان صادق الحديث لم يسلمه صدقه إلا إلى خير، وكان تاجراً موسراً، حسن السمعة بين أقرانه من التجار، وذات مرة خرج إلى الشام في تجارة، وفي طريق العودة وصلت إلى مسامعه همسات مفادها أن عمه «أبا زينب» قد أوحي إليه، وبات يدعو الناس إلى الإلٰه

الواحد، ونبذ الأصنام التي يعكف قومه على عبادتها، ولما دخل «أبو العاص» على امرأته «زينب» قال لها: أية إشاعة هذه التي يتناقلها الناس عن أبيك، حول نزول الوحي عليه؟ وبالصدق الذي قبسته «زينب» من أبيها، ردت بقولها: ليس ثمة إشاعة، وإنها النبوة التي كرَّم الله تعالى بها أبي ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وقد أسلمت مع أمي وأخواتي، وصدقناه فيما جاء به من عند الله، ولم تكن «زينب» بحاجة لتؤامر زوجها بشأن متابعتها لأبيها، وهو أسوتها الحسنة، ومثلها الأعلى. ولم يُلْقِ «أبو العاص» للأمر بالاً، ولم يعره اهتماماً، لأن تجارته تشغل كل وقته، وتستغرق تفكيره. وأما «زينب» فلم تكن راغبة في أن تستأثر بالخير دون زوجها، لذلك كانت كلما وجدت الفرصة مواتية طرحت على «أبي العاص» متابعة أبيها والانضمام إلى ركب المؤمنين، ولما وجدها «أبو العاص» تلح عليه في هذا الأمر، قال لها: يا زينب! ما كان أبوك عندي بمتهم، وليس أحب إليَّ من أن أسلك معك السبيل التي تسلكين، ولكني أكره أن يقال: إن زوجك خذل قومه، وكفر بدين آبائه، إرضاءً لامرأته. بيد أن «زينب» لم تقنط من رحمة الله، وكانت تضرع للمولى في خلوتها أن يوجِّه زوجها إلى سواء الصراط.

وشددت قريش وطأتها على أصحاب النبي ﷺ، وراحت تتفنَّن في إيذائهم، والتنكيل بهم، بيد أن «ابن الربيع» كفَّ يده وصان لسانه عن الإسهام في ذلك، مراعياً لمكانة رسول الله ﷺ وابنته «زينب» منه.

وبدأت دعوة رسول الله ﷺ إلى الإسلام سراً، حتى إذا نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝٩٤﴾ [الحجر: 94] شمَّر عن ساعد الجد، وجهر بالدعوة، فتنادت قريش إلى اجتماع حضره شيوخها وأكابر زعمائها، وقلَّبوا الأمر على وجوهه كافة ثم زيَّن لهم تفكيرهم السقيم أن أشد ما يؤذي «محمداً» ﷺ أكثر من نفسه أن تؤذى بناته، وأجمع أمرهم على ردِّهِنَّ عليه، وكانت «زينب» عند «أبي العاص بن الربيع» وأما «رقية» و «أم كلثوم» فهما مخطوبتان لولدي «أبي لهب» عم رسول الله ﷺ أما «أبو لهب»

فأسرع إلى امرأته «حمالة الحطب» ليزف إليها ما اتفق عليه أمر قريش ودعا ولديه «عتبة» و «عتيبة» وقال لهما: رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتيّ «محمد» ففارقاهما في الحال، وأسرف «عتيبة» في غيه حين ذهب إلى رسول الله ﷺ وسطا عليه وشق قميصه وشتمه، فدعا رسول الله ﷺ عليه أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه، فلما خرج مع أبيه في تجارة إلى الشام، جاء الأسد وراح يتشمَّم رجال القافلة وهم نيام، حتى وقف على «عتيبة» ثم ضربه بذنبه فشدخ رأسه، فمات وظنت قريش أن «أبا العاص بن الربيع» لها مطيع، لكنه خيَّب آمالهم، وردَّ كيدهم لنحورهم. فلما قالوا له: فارق صاحبتك، ونحن نزوجك أي امرأة شئت من قريش، لم يضعف أمامهم ولم يتخاذل، بل ردَّ عليهم بوضوح: «لاها الله إذاً، لا أفارق صاحبتي، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش». إنها لطمة قوية وجَّهها «أبو العاص» إلى قريش، لم تكن تخطر لها على بال، وغدت في حيرة من أمره، فلا هو مفارق دين قريش، ولا هو متابع دين «محمد» ﷺ، ولا مُسْهِمٌ فيما يؤذيه، سواء أكان الإيذاء موجهاً إلى ذاته أم إلى بناته.

الهجرة إلى يَثْرِب: بعد أن أذن الله تعالى لرسوله بالهجرة، انطلق مع صاحبه «الصديق» رضي الله عنه وكان أصحابه قد سبقوه إلى «يثرب» مستخفين عن عيون قريش ورقبائها، فلما وصلها آخى بين المهاجرين والأنصار، وغير اسم «يثرب» وسماها «المدينة» على ساكنها أفضل السلام، حتى إذا استقر مقامه فيها أرسل «أبا رافع» و «زيد بن حارثة» ليأتياه ببقية أهله، وهم: زوجه «سودة بنت زمعة» وحاضنته «بركة الحبشية» وابنتاه «أم كلثوم» و «فاطمة الزهراء» وبقيت «زينب» مع زوجها «أبي العاص» في مكة، وإن كان مشركاً، وأما «رقية» فكانت وزوجها «عثمان بن عفان» مع المهاجرين في الحبشة.

خروج «أبي العاص» مشركاً إلى بدر: أمر رسول الله ﷺ باعتراض قافلة قادمة من الشام يقودها «أبو سفيان بن حرب» تحمل تجارة قريش وأموالها، والاستيلاء على ما فيها، تعويضاً عن أموال المهاجرين التي أكرهتهم قريش على تركها مقابل سماحها لهم بالهجرة، وجاء النذير إلى «أبي سفيان»

بالمحاولة التي يزمع المسلمون فيها اعتراض سبيله، فأرسل رسولاً إلى قريش بمكة يستصرخها، وبادرت إلى إعداد ألف مقاتل بين مكرهٍ وراضٍ، ليخرجوا إلى بدر، غير أن «أبا سفيان» سلك بالقافلة طريقاً آخر حتى بلغ بها مكة بسلام، وحين رأى بعض الزعماء ذلك، وأن أموالهم لم يمسسها سوء، أجمعوا على أن القتال لم يعد له مبرر، وأرادوا عدم الخروج، لكنْ كبيرُ سفهائهم «أبو جهل» أصرَّ على المضي إلى بدر، ممنياً نفسه بالنصر، واستئصال شأفة المسلمين. وكان «أبو العاص» و «العباس» عم رسول الله ﷺ قد خرجا مكرهين. وما كانا يفكران في القتال ويسأل «أبو العاص» نفسه: ما الذي يصنعه إذا لقي أبا امرأته التي يحب «زينب» وجد ابنته التي يعشق «أمامة» في ساحة القتال؟ وهل سيطيق النظر إلى وجهه الشريف، بعد كل الإحسان الذي ناله على يديه الكريمتين؟. والتقى الجمعان، وأخذت السيوف المؤمنة تحصد رؤوس الشرك وفقدت قريش أكابر مجرميها كأبي جهل، وابني ربيعة: عتبة وأخيه شيبة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وأبي بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وأسفرت المعركة عن مصرع سبعين من المشركين، وأسر مثلهم، وكان من بين الأسرى «العباس» و «أبو العاص». واجتمع زعماء قريش لبحث موضوع الأسرى وفدائهم، فارتأى بعضهم التريث بعض الوقت حتى لا يتشدد المسلمون في مبلغ الفداء، وقال آخرون بعدم الانتظار، ولما علمت «زينب» بما عَزَمت عليه قريش من فداء الأسرى، ذكرت القلادة التي أهدتها إليها أمها «الطاهرة خديجة» رضي الله عنها يوم زفتها إلى «أبي العاص» فأخرجتها، ودسَّتها في الفداء المرسل إلى أبيها في المدينة. وما إن رأى رسول الله ﷺ قلادة «خديجة» حتى عرفها، ورقَّ لها رقَّةً شديدة، إلا أنه كان يعلم حق أصحابه في الفداء، ولا يريد أن يسلبهم منه شيئاً، فقال لهم: (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردُّوا عليها الذي لها، فافعلوا)[1]. وليس شيء يسعد

(1) الإصابة (8/ 91).

المسلمين مثل أن يفعلوا ما يرضى به عنهم الله ورسوله، ولذلك قالوا: نعم، يا رسول الله! فأطلقوا سراح «أبي العاص» وردُّوا على «زينب» الذي لها، وقبل أن ينطلق «أبو العاص» بما معه إلى مكة، أخبره رسول الله ﷺ أن «زينب» لم تعد له حلالاً، لأن الإسلام يحرم نكاح المشركين للمسلمات، وأخذ عليه العهد أن يسرِّحها عقب وصوله إلى مكة.

كان «أبو العاص» شديد الشوق إلى الحبيبة «زينب» وإلى حبة القلب «أمامة»، ولكن سمعته وصيته بين الناس قائمان على صدق الوعد وحسن الوفاء، وما كان بهما يوماً من المفرطين، وما إن دخل على أهله الدار حتى خفَّت «زينب» إليه تريد أن تعانقه وتسلم عليه، ولكنها لم تر في وجهه البريق الذي كانت تراه بعد إيابه من السفر، ولم يقف الأمر عند هذا الحدَّ، ولكنه نحَّاها بيده عنه، ولم يدع لها فرصة لتسأله عن سر تصرفه المريب هذا، فسبقها إلى القول: لقد فرَّق الإسلام بيننا، وقد واثقت أباك على أن أوجهك إليه، فتهيئي للرحيل.

وعلى الرغم من ذهولها، إلا أنها قالت: سمعاً وطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ، ثم جهزت نفسها وابنتها لمغادرة البيت الذي شهدت أحجاره أحلى ذكرياتها، وسمعت أعذب ما قاله فيها زوجها «أبو العاص» من أشعار، ولكن مشيئة الله ليس لها رادُّ، وما لها من مَدْفَع، ولا اختيار.

وأمر«أبو العاص» أخاه «كنانة بن الربيع» أن يبلغ «زينب» وابنتها «أمامة» إلى بطن يأجج، حيث ينتظرهما هناك رسولا رسول الله ﷺ، «زيد بن حارثة» وأحد الأنصار.

لكن الحقد الأعمى، والكره الشديد الذي كانت تكنه قريش للنبي ﷺ ولآله ولأصحابه قد تجاوز كل حد، وما إن علمت قريش بخروج«كنانة» مع امرأة أخيه، حتى انطلق سفهاؤها في إثْرهما. وكان «هبار بن الأسود» و«نافع الفهري» أول من أدركهما، وروَّع «هبار» برمحه بعير «زينب» وهي في هودجها - وكانت حاملاً - فسقطت على الأرض، وراحت تنزف، وما

الذي تستطيع أن تفعله «أمامة» الصغيرة - وهي ترى بعينيها الجميلتين ما حَلَّ بأمها - غير البكاء؟.

وفيما كان «كنانة» يرشق السفيهين بنباله، وصل «أبو سفيان» ونادى «كنانة» بقوله: أيها الرجل! كُفَّ عن نبلك، فإني أرغب في الحديث إليك. وبلغ الجَهْد من «زينب» أشده، وزاد النزيف حتى أجهضت. ولما دنا «أبو سفيان»من «كنانة»، قال له: لقد أسأت التصرف حين خرجت بها على رؤوس الناس، حتى ظنوا أن خروجها هكذا علانية إنما هو لضعف حَلَّ بنا، وَوَهَن أصابنا، ولعمري! ما لنا في حبسها عن أبيها حاجة، وما فيها لنا ثأر نثأره، فارجع بها اليوم، فإذا علم الناس أننا رددناها فَسُلَّها في الغد خفية، وألحقها بأبيها، وبذلك نجتنب نحن وأنت الحرج.

وفعل«كنانة» الذي قاله «أبو سفيان» ورجع بالأمانة إلى أخيه، وأخبره بما كان، فرثى لحال «زينب» وتألم لما أصابها، وراح يمرضها حتى استردت بعض عافيتها.

وبعد أيام قلائل، خرج «كنانة» بـ«زينب» وابنتها «أمامة»، وكان «زيد» وصاحبه الأنصاري في الانتظار، فلما التقوا أخبرهما «كنانة» بما صنعه السفيهان «هبار» و«نافع» ثم ودعهم، وأقفل راجعاً إلى مكة - حرسها الله تعالى.

وفي المدينة المنورة - حرسها الله تعالى وزادها تشريفاً - ضَمَّ رسول الله ﷺ حبيبتيه إلى صدره، وغمرهما بقبلاته، ولما أخبره «زيد» بما صنع الشقيان القرشيان «هبَار» و «نافع» أمر أصحابه إذا ظفرا بهما أن يحرقاهما، ثم عدل عن ذلك وقال: (إذا لقيتموهما فاقتلوهما، فإنه لا ينبغي لأحد أن يعذِّب بعذاب الله)، ثم أَلْهَمَ «أبو العاص» رشده، فقصد المدينة المنوَّرة ليعلن إسلامه، ويجتمع شمله بأسرته الحبيبة من جديد..

«أمامة» ومكانتها المرموقة في البيت النبوي: تبوأت «أمامة» في البيت النبوي المطهر، مكانة مرموقة، لا تكاد تقل عن المكانة التي بَلَغَها

«الحسن» و «الحسين» وفازت بقسط وافر من محبة النبي ﷺ وعطفه وحنانه، وتكريمه وإيثاره لها حتى على أحب نسائه إليه، وأعَزِّهن عليه.

ذكر ابن الأثير في «أسد الغابة» في ترجمته لها: [أمها زينب بنت رسول الله ﷺ، ولدت على عهد رسول الله ﷺ وكان يحبها، وحملها في الصلاة، وكان إذا ركع أو سجد تركها، وإذا قام حملها][1]. وفي الإصابة لابن حجر العسقلاني، من حديث قتادة: [أن النبي ﷺ كان يحمل «أمامة بنت زينب» على عاتقه، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها][2].

وأخرج أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب [قال: حدثنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا علي ابن زيد، عن أم محمد، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ أهديت له هدية فيها قلادة من جَزْع -خرز يماني-، فقال: (لأدفعنَّها إلى أحب أهلي إليَّ)، فقال النساء: ذهبت بها ابنة أبي قحافة، فدعا رسول الله ﷺ «أمامة بنت زينب» فأعلقها في عنقها][3].

وأخرج ابن حجر في الإصابة، قال: [وأخرجه ابن سعد، من رواية حماد بن زيد، عن علي بن زيد مرسلاً، وقال فيه: (لأعطينها أرحمكن، وقال فيه: فدعا ابنة أبي العاص من زينت فعقدها بيده)، وزاد: وكان على عينها غمص، فمسحه بيده][4].

وفي الإصابة أيضاً: [وأخرج أحمد، من طريق ابن إسحاق، عن يحيى ابن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة أن «النجاشي» أهدى إلى النبي ﷺ فيها خاتم من ذهب فصه حبشي، فأعطاه «أمامة»][5].

---

(1) أسد الغابة (5/ 217)

(2) الإصابة (4/ 236).

(3) الاستيعاب (4/ 1789).

(4) الإصابة (4/ 236).

(5) نفس المصدر.

أليس في هذا آية، على ما حظيت به «أمامة» من عناية، عند جدها الكريم صاحب الخلق العظيم؟.

وفاة أمها «زينب»: ولما كانت السنة الثامنة للهجرة وقعت «زينب» بين براثن المرض، وأخذ عودها يذوي، بعد أن هدها حادث سقوطها عن بعيرها عشية الهجرة، وما أعقبه من نزف غزير لدمها، وإجهاضها، ولم يكن في وسع أحد من أحبتها أن يقدم لها يد العون، وكان الدعاء لها ملاذهم ومفزعهم، ولكن يبدو أن الله -جلَّ في علاه- دعاها إلى لقائه، وكان لزاماً أن تستجيب، وفاضت روحها الطاهرة إلى بارئها، وكل من حولها حيارى ذاهلون. لقد رحلت «زينب» في وقت كانت فيه «أمامة» في أشد الحاجة إلى وجودها بقربها، ولكن لا اعتراض على مشيئة الله، ولا مفر من نفاذ حكمه.

وكانت «أمامة» سلوة وعزاء لأبيها بعد رحيل أمها الحنون.

ويتتابع فقد الأحبة: لقد أدى صاحب الرسالة رسالته، وبلغ الإمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وفي السنة الحادية عشرة خيَّره الله تعالى بين البقاء واللقاء، فاختار لقاءه، ورحل، تاركاً في قلوب المسلمين جرحاً لا يندمل. وصعقت «أمامة» لرحيل جدها ﷺ الذي لن يعوضها حب أهل الأرض وحنانهم عن حبه وحنانه، ولكنها إرادة السماء، ولا يجدر تجاهها إلا التسليم والرضاء، وسلَّمت «أمامة» ورضيت، وأشفقت عليها خالتها «الزهراء» وحاولت أن تعوضعها عن حنان أمها، بغيض من فيض حنانها، وأنست «أمامة» بخالتها وألْفت صدراً دافئاً تستطيع أن تريح رأسها عليه، ولكنها لم تكد تطمئن إلى ذلك، حتى ثقل على «الزهراء» فراق حبيبها الأعظم، وقرة عينها الأكرم، إنه الرئة التي كانت تتنفس بها، فكيف تعيش بغير رئة؟ وسقطت «الزهراء» فريسة المرض، وكان قد بشرها أبوها بأنها أول أهله لحوقاً به، ولم يعد في مكنتها احتمال فراقه أكثر من ستة أشهر فغادرت الحياة، بعد أن أوصت «أبا الحسين والريحانتين» أن يتزوج. وفي السنة الثانية عشرة رحل «أبو العاص» إلى لقاء ربه، رحمه الله تعالى.

زواج أمامة حسب الوصية: ولكن من العروس التي اختارتها «الزهراء» لزوجها؟ إنها ابنة أختها «أمامة بنت أبي العاص». فبعد رحيل أمها «زينب» وجدها رسول الله ﷺ، وخالتها «فاطمة الزهراء» وأبيها، كانت «أمامة» في ذروة نضجها، وينع أنوثتها، وقبل وفاة «أبي العاص» أوصى ابن خاله «الزبير بن العوام» حواري رسول الله ﷺ وامرأته «أسماء» أن يرعيا «أمامة»، فكانا يكرمانها غاية الإكرام، لما يعرفان من فضلها، وحب رسول الله ﷺ لها، ولما كانت خلافة «عمر بن الخطاب» - رضي الله عنه زوَّجها «الزبير» من «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه كما أوصت «الزهراء» خالتها رضي الله عنها.

وعاشت «أمامة» في كنف «علي بن أبي طالب» معززة مكرمة أكثر من خمسة وعشرين عاماً، ولكن هل للسعادة من دوام؟.

ولما كانت سنة أربعين للهجرة فُجِعَت «أمامة» بمصرع بَعْلها أمير المؤمنين «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه غدراً من قبل الخارجي «عبد الرحمٰن ابن ملجم - لعنه الله- فقالت أم الهيثم النخعية - ترثي علياً:

ألا يا عَيْن وَيحك أسعدينا ... ألاَ تَبْكِي أَمِير الْمُؤمِنينا؟
يُقِيم الدين لا يَرْتَاب فِيه ... وَيَقْضِي بِالْفَرَائِض مُثْبِتِينا
أَفِي شَهْر الْصِيَام فَجَعْتُمونا ... بِخَير الْنَاس طرًّا أَجْمَعِينَا؟
أَشَاب ذؤابتي وَأَطَالَ حُزْنِي ... أمَامَة حِينَ فَارَقَت الْقَرِينَا
تَطِيفُ بِهِ لِحَاجَتِهَا إلَيه ... فَلَمَا اسْتَيأسَتْ رَفَعَت رَنِينَا
وَعبرة أم كلثوم إليها ... تُجَاوِبُهَا وَقَدْ رَأَتْ الْيَقِينَا
وَلاَ وَالله لا أَنْسَى عَلِياً ... وَحُسْن صَلاَته في الْرَاكِعينَ

وقيل: الأبيات لأروى بنت حارث، والله أعلم.

وقبل أن يفارق «علي» الحياة، أوصاها بالزواج من المغيرة بن نوفل، إن كانت لها حاجة في الرجال مخافة أن يخطبها، «معاوية»، وبالفعل أرسل «معاوية» في خطبتها، ولما أخبرت «المغيرة» قال لها: اجعلي أمرك إليَّ، ففعلت، فدعا رجالاً من بني هاشم فيهم «الحسن بن علي رضي الله عنهما» فخطبها إلى

obeikandl.com

«الحسن» فزوجه إياها، فماتت عنده ولم تلد لعلي ولا للمغيرة، رحمها الله تعالى.

السيدة بادية بنت غيلان الثقفية رضي الله عنها

هي التي قال «هِيتُ» المُخَنَّث: إنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، ولما أسلم أبوها أسلمت، وروت[1].

عن عائشة: أن النبي ﷺ أمرها بالغسل عند كل صلاة في الاستحاضة، وأخرج ابن الأثير في «أسد الغابة»: روى القاسم بن محمد، عن عائشة أن بادية بنت غيلان، أتت النبي ﷺ، فقالت: إني لا أقدر على الطهر، أفأترك الصلاة؟ فقال: (ليست تلك بالحيضة، إنما ذلك عِرْقٌ، فإذا ذهب قرء الحيضة، فارتفعي عن الدم، ثم اغتسلي وصَلِّي)[2].

السيدة بركة الحبشية «أم أيمن» رضي الله عنها

هل أتاك حديث حاضنة اليتيم الأكرم، ومربية الحبيب الأعظم، ﷺ؟ إنها «أم أيمن»، كانت أمة من الإماء، ثم أضحت من فواضل النساء، فقد رفع من شأنها الإسلام، لرعايتها خير الأنام.

نسبها: اسمها «بركة»، ويا له من اسم عظيم، تستحق صاحبته كل تكريم، وقد حصلت عليه من النبي المصطفى العدنان، حين ذكر أنها من أهل الجنان.

أبوها: يدعى «ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن

(1) الإصابة (4/ 249).
(2) أسد الغابة (5/ 226).